

بنية الزمان في السيرة الشعبية
"سيرة الملك سيف بن ذي يزن، وعترة بن شداد، والزير سالم" أنموذجاً

The Temporal Structure in Popular Biographies:
"The Epic of King Sayf ibn Dhi Yazan, Antarah ibn Shaddad, and Al-Zeer
Salim" as a Case Study

[10.35781/1637-000-195-003](https://doi.org/10.35781/1637-000-195-003)

الباحثة/ إيناس محمد غرسان اليوسفي

الملخص

عن المؤثرات والسياقات الخارجية، بما يسمح بفهم أعمق للأنظمة المنظمة للعناصر السردية وآليات اشتغالها داخل النص.

ومن خلال ملحمة التبع حسان اليماني، تبين أن الزمان يلعب دوراً مهماً في السير ويجعلها قابلة للترتيب، فكانت أول السير هي سيرة الزير سالم تليها سيرة الملك سيف بن ذي يزن وتأتي أخيراً سيرة عترة بن شداد.

وبعد المحاولة للإمساك بالبنية الزمانية الكبرى للسيرة الشعبية، تبين أن الزمان بنية حكاية مهمة؛ لأنها تتصل بباقي البنى الحكائية (الأحداث والشخصيات والفضاءات).

الكلمات المفتاحية: بنية الزمان، السيرة الشعبية، سيف بن ذي يزن، عترة بن شداد، الزير سالم.

تتناول هذه الدراسة موضوع بنية الزمان في السيرة الشعبية من خلال دراسة ثلاثة نماذج مختارة تمثلت في: سيرة الملك سيف بن ذي يزن، وسيرة عترة بن شداد، وسيرة الزير سالم.

وتهدف إلى الكشف عن تمثيلات الزمان، كما ترمي الدراسة إلى الإسهام في إعادة قراءة التراث السرد الشعبي قراءة علمية ومنهجية، تكشف عن أبعاده الفنية والجمالية، وتبرز قيمته ومكانته في مسار تطور السرد العربي وتشكل أنواعه المختلفة.

واعتمدت الباحثة المنهج البنيوي إطاراً منهجياً للدراسة؛ لما يتيح من أدوات تحليلية قادرة على الكشف عن البنى العميقة للنص السرد، وذلك من خلال التركيز على العلاقات الداخلية التي تربط بين مكوناته الأساسية، وينطلق هذا المنهج من النظر إلى النص بوصفه بنية مستقلة ومتماسكة، تُدرس في هدي أنساقها الداخلية بعيداً

The Temporal Structure in Popular Biographies:

"The Epic of King Sayf ibn Dhi Yazan, Antarah ibn Shaddad, and Al-Zeer Salim" as a Case Study

Researcher/ Enas Muhammed Gharsan AlYuosofi

Abstract

This study examines the structure of time in the folk epic through three selected examples: the epic of King Saif ibn Dhi Yazan, the epic of Antarah ibn Shaddad, and the epic of Al-Zir Salim. It aims to uncover representations of time and to contribute to a scholarly, methodical re-reading of folk narrative heritage that reveals its artistic and aesthetic dimensions and highlights its value and status in the development of Arabic narrative and the formation of its various genres.

The researcher adopted the structuralist approach as the study's methodological framework, owing to the analytical tools it offers for uncovering the deep structures of the narrative text by focusing on the internal relationships that link its fundamental components. This approach views the text as an autonomous, coherent structure to be studied in light of its own internal systems, apart from external influences and contexts, thereby

allowing a deeper understanding of the systems regulating narrative elements and the mechanisms by which they operate within the text.

Through the epic of Al-Tubba' Hassan Al-Yamani, it became evident that time plays an important role in the siyar (folk epics), making them amenable to sequencing. Thus, the first of the epics was that of Al-Zir Salim, followed by that of King Saif ibn Dhi Yazan, and finally that of Antarah ibn Shaddad .

After attempting to grasp the overarching temporal structure of the folk epic, it became clear that time is an important narrative structure, because it is connected to the other narrative structures (events, characters, and spaces).

Keywords: The Temporal Structure, Popular Biographies

King Sayf ibn Dhi Yazan, Antarah ibn Shaddad, Al-Zeer Salim.

مدخل:

اهتمت الدراسات الحديثة بدراسة الزمن، وإبراز أهميته في العمل الأدبي على نحو مكثف، ويعد الشكلاونيون الروس أول من درس الزمن في عشرينيات القرن الماضي، ولكن هذه المحاولات لم تظهر بسبب الاضطهاد السياسي والفكري الذي لاقاه الشكلاونيون.

"فظهرت محاولات جديدة لتحليل الزمن في الرواية من حيث الشكل، ومن أهمها دراسة (جيرار جينت)¹، ويقدم ميشال بوتور أحد رواد الرواية الحديثة في فرنسا، رؤية جديدة لتقسيمات الزمن الروائي. " تتجلى في زمن المغامرة، وزمن الكتابة، وزمن القراءة، وكثيراً ما ينعكس زمن الكتابة على زمن المغامرة بواسطة الكاتب... وهكذا يقدم لنا المؤلف خلاصة نقرؤها في ساعة، أو أكثر، وتكون أحداثها جرت خلال يومين أو أكثر للقيام بها".²

إن تتابع الأحداث في الروايات والقصص، ليس ضرورياً أن تتطابق مع الترتيب الطبيعي لأحداثها، كما يراها البنائيون، ولكن هذا التطابق يكون في بعض الحكايات العجيبة. " إن التطابق بين زمن السرد، وزمن القصة المسرودة لا نجد له مثلاً إلا في بعض الحكايات العجيبة القصيرة، على شرط أن تكون أحداثها متتابعة، وليست متداخلة".³

وميز تودوروف في حديثه عن زمن الخطاب بين ثلاثة أزمنة هي: زمن القصة، وزمن السرد، وزمن القراءة، وبروز زمن القراءة أقل من بروز زمن القصة وزمن السرد، وهذه الأزمنة الثلاثة أزمنة داخلية. "إن زمن القصة يخضع بالضرورة للتتابع المنطقي للأحداث، بينما لا يتقيد زمن السرد لهذا التتابع المنطقي"⁴ "إن زمن القصة هو زمن التجربة الواقعية، والمدرسة ذهنياً".⁵

¹ بناء الرواية، دراسة مقارنة في ثلاثية نجيب محفوظ، سيزا قاسم، ط1، 1985م، دار التوزيع للطباعة، بيروت، ص 36

² "بتصرف" بحث في الرواية الجديدة: ميشال بوتور، ص 101-102

³ بنية النص السردية، من منظور النقد الأدبي، حميد لحمداني، المركز الثقافي العربي، بيروت، الدار البيضاء ط3 2000م، ص 73

⁴ نفسه، ص 73

⁵ انفتاح النص الروائي، سعيد يقطين المركز الثقافي العربي، بيروت، ط 2، 2001م، ص 47

المبحث الأول

أقسام الزمن السردى

ينقسم الزمن السردى إلى ثلاثة أقسام حسب دراسات جيرار جينيت وهي: (زمن تاريخي وزمن نفسي وزمن داخلي خرافي).

1-الزمن التاريخي:

تتميز به الرواية التقليدية فهو زمن ذو بداية ووسط ونهاية، "فالزمن التاريخي الذي تتميز به بنية الرواية التقليدية التي يجيء فيها الزمن متسلسلاً تسلسلاً منطقياً ذا بداية ووسط ونهاية".¹

2-الزمن النفسي:

وهو زمن يقوم بتكسير تتابع التسلسل الزمني السردى بشكل غير منظم، "الذي تتميز به روايات تيار الوعي الحديثة، حيث تقوم بتكسير تعاقبية تسلسل الزمن السردى بشكل غير منطقي وغير منظم تاريخياً، كما أنه الزمن الذي يصعب قياس مدته المعلومة، فقد يطول وقد يقصر بحسب الحالة النفسية التي عليها الشخصية الروائية".²

3-الزمن الداخلي:

و يكون مهيماً في الروايات ذات الطابع الخرافي، "وهو الزمن الطقوسي الاحتفالي الدائري المهيمن في روايات الخرافة".³

*مستويات الزمن السردى:

وهي ثلاث مستويات، بحسب تصنيف جيرار جينيت بالقياس إلى العلاقة المتبادلة بين زمني السرد والقصة، وهي: (مستوى النظام مستوى المدة مستوى التواتر).

1-مستوى النظام:

هو عدم تطابق ترتيب الأحداث في زمن السرد وزمن الحكاية "فيعني أنه عندما لا يتطابق نظام ترتيب الأحداث في الزمنين: زمن السرد وزمن الحكاية؛ بسبب تعددية الأبعاد في زمن الحكاية الذي يسمح بوقوع أكثر من حدث حكاى في وقت واحد في حين أن زمن السرد يملك بعداً واحداً هو بعد الكتابة على أسطر الرواية وينشأ عنه ما يسمى بالمفارقة السردية الاسترجاع أو الاستباق.

¹ تقنيات السرد في النظرية والتطبيق، أمانة يوسف، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط2، 2015م، ص98

² نفسه، ص99

³ الرواية بين النظرية والتطبيق، رازك أحمد، دار الحوار للنشر والتوزيع، ط1، 1995م، ص57

2-مستوى المدة:

يراد به قياس السرعة "فقد تتراوح سرعة النص الروائي من مقطع لآخر بين لحظات قد يغطي استعراضها عدداً كبيراً من الصفحات وبين عدة أيام قد تذكر في بضعة أسطر" فينشأ عنه ما يسمى حركات السرد الأربع (التلخيص الحذف الوصف المشهد).

3-مستوى التواتر:

الذي يرتبط "بمسألة تكرار بعض الأحداث من المتن الحكائي على مستوى السرد"¹ ويقول تودوروف: "وأمامنا هنا ثلاث إمكانات نظرية: القص المفرد حيث يستحضر خطاباً واحداً حدثاً واحداً بعينه، ثم القص المكرر حيث تستحضر عدة خطابات حدثاً واحداً بعينه، وأخيراً الخطاب المؤلف حيث يستحضر خطاباً واحداً جمعاً من الأحداث المتشابهة".²

*تقنيات المفارقة السردية:

وهما تقنيتان اثنتان: تقنية الاسترجاع وتقنية الاستباق.

-الاسترجاع:

أو الفلاش باك "مصطلح روائي حديث يعني: الرجوع بالذاكرة إلى الوراء البعيد أو القريب"³ وقد سيق هذا المصطلح من معجم المخرجين السينمائيين، حيث بعد إتمام تصوير المشاهد، يقع تركيب المصورات فيمارس عليها التقديم والتأخير، دون أن يكون بعض ذلك نشازاً طالما يظل الإطار الفني لغرض القصة محترماً⁴، وينقسم إلى استرجاع خارجي "الذي يقع قبل بداية الرواية، واسترجاع داخلي "والذي يقع في ماضٍ لاحق لبداية الرواية"⁵، واسترجاع مزجي "والذي يمزج بين النوعين السابقين".⁶

¹ مجلة فصول، إشكالية الزمن في النص السرد، عبد العالي بوطيب، عدد خاص عن دراسة الرواية، ص 130-142

² الشعرية، ستيفان تودوروف شكري المبخوت ورجاء بن سلامة، ط1990، 2م، إصدارات توبقال للنشر الدار البيضاء، المغرب، ص49

³ تقنيات السرد في النظرية والتطبيق، ص103

⁴ تحليل الخطاب السردى معالجة تفكيكية سيميائية مركبة، لرواية زقاق المدق، عبد الملك مرتاض، ديوان المطبوعات الجامعية، 1995م، الجزائر، ص217

⁵ تقنيات السرد في النظرية والتطبيق، ص104

⁶ بناء الرواية، سيزا قاسم، دراسة مقارنة في ثلاثية نجيب محفوظ ط1، 1985م، دار التوزيع للطباعة، بيروت، ص54

* نماذج من الاسترجاع في السير الثلاث :

نلاحظ في سيرة الملك سيف بعضاً من هذه التقنية فعلى سبيل المثال تذكر الملك سيف موت أمه وحنقه على أخته عاقصة: "وأحسّ بيد قاسية تضغط على قلبه وتملأه بالمرارة وهو يتذكر أمه ومصرعها ، وامتألت نفسه بالحنق والألم ، وعاقصة أخته في الرضاع تقذف بها من سقف القاعة لتمزقها السيوف المشرعات".¹

وفي سيرة عنترة وهو يتذكر عبلة ومصابه الذي أدى لخروجه من القبيلة "وتذكر ما جرى عليه من المصائب ففاضت دموعه على خديه سواكب؛ لأنه قد رأى عبلة تلك الليلة في المنام وهي تشير إليه بالسلام".²

أما سيرة الوزير سالم عندما تذكر كليب أخاه الوزير ومواقفه معه وبأن ملكه سوف يزول ، " فازداد كدره واحترار في أمره وحسّ بزوال ملكه وكان وقد تذكر أخاه الوزير فارس التحرير فركب من يومه في جماعة من الفرسان وقصد بئر السباع".³

-الاستباق:

أو الاستشراف "يعني تقديم الأحداث اللاحقة ، والمتحققة-حتماً- في امتداد بنية السرد الروائي ، على العكس من التوقع الذي قد يتحقق لاحقاً".⁴

ويرى بعض النقاد البنائيين أنه " عندما لا يتطابق نظام السرد مع نظام القصة ، فإننا نقول: إن الراوي يولد مفارقات سردية".⁵

الشائع لدى الروائيين تحدد الزمن في رواياتهم سواءً كانت لها صلة مباشرة ، أم غير مباشرة بالتاريخ القديم ، أو الحديث ، وفي السير الثلاث ظهرت الشخصيات منذ ولادتها ، أو طفولتها المبكرة ، وانتهت وهي في سن الشيخوخة ، واللافت للنظر في الزمن تعبیر الراوي على نمو هذه الشخصيات ، وأفراد السيرة في مراحلهم العمرية.

¹ مغامرات سيف بن ذي يزن، فاروق خورشيد، طبعة دار الشروق الأولى، 1992 ، ص 12

² - سيرة فارس فرسان الحجاز أبي الفوارس عنترة بن شداد، مكتبة الجمهورية المصرية لصاحبها عبد الفتاح عبد الحميد، ج1، ص 95

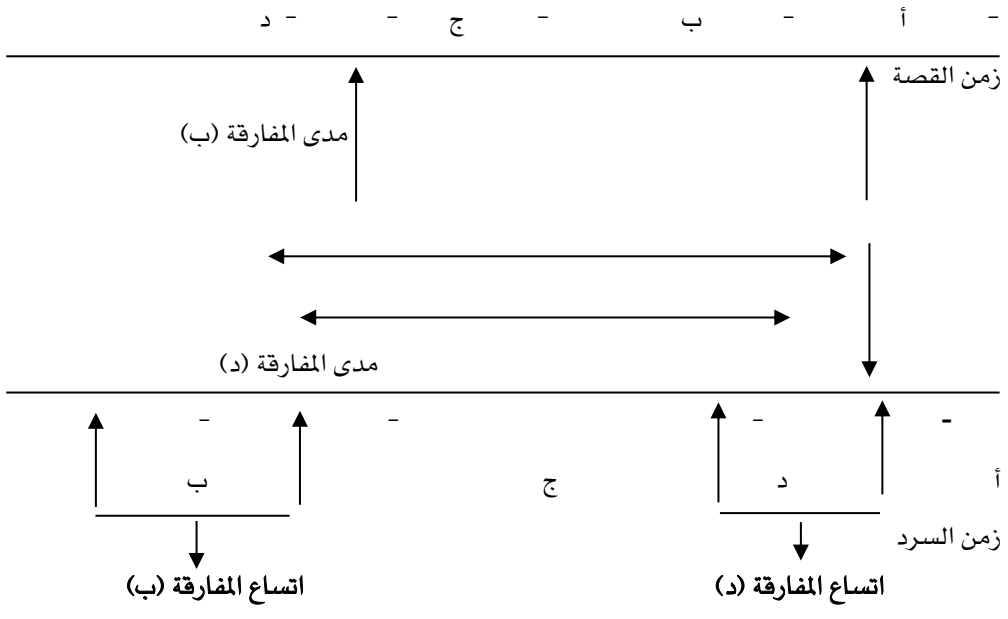
³ - قصة الوزير سالم الكبير ، مكتبة الجمهورية المصرية لصاحبها عبد الفتاح عبد الحميد مراد، شارع الصناديق، بجوار الأزهر بمصر ، ص39

⁴ جماليات التشكل الزماني والمكاني، فصول، دراسة الرواية، إبراهيم نمر موسى، ص 312

⁵ J.L. Dumortier et FrPlazand: pour lire le rectEd. Duclo't 1980'p72

"فهم نتاج ما يمرّ بهم من ظروف، وتجارب، وما يعيشونه من زمن"¹، يكتسب الزمان بعده الحقيقي باعتباره إطاراً للفعل، وتعد الزمانية الطابع الذي يتحقق في الزمان كما يقول جان بويون: "ليست شيئاً موجوداً أو كائناً، ولكنها الطابع الذي يأخذه كل ما يتحقق في الزمان"²، واستباق الأحداث في السرد يعرف القارئ الوقائع التي تكون قبل موعد حدوثها الطبيعي في زمن القصة، فالمفارقة إما أن تكون استرجاعاً لأحداث ماضية، أو استباقاً لأحداث لاحقة، والمفارقات الزمنية تعني: "دراسة الترتيب الزمني لحكاية ما مقارنة بنظام ترتيب الأحداث، أو المقاطع الزمنية في الخطاب السردى بنظام تتابع هذه الأحداث أو المقاطع الزمنية نفسها في القصة"³، ولكل مفارقة زمنية مدى واتساع فهما شيئان أحدهما يعد المجال الفاصل بين انقطاع السرد وبداية الأحداث المسترجعة فيسمى المدى "فهذه المفارقة الزمنية تكون في الماضي أو المستقبل بعيداً كثيراً أو قليلاً عن اللحظة الحاضرة أي عن لحظة القصة التي تتوقف فيها الحكاية لتخلي المكان للمفارقة الزمنية و سنسمي هذه المسافة الزمنية مدى المفارقة، ويمكن المفارقة الزمنية نفسها أن تشمل أيضاً مدة قصصية طويلة كثيراً أو قليلاً وهذا ما نسميه سعتها"⁴.

يمكن أن نوضح المدى والاتساع من خلال الشكل التالي:



¹ بنية النص الروائي، إبراهيم خليل، الدار العربية للعلوم ناشرون، الجزائر، ط1، 2010م، ص 99

² J. poaillon, Temps et roman, Gallmard, 1946, p157

³ خطاب الحكاية، جبرار جينيت، ت، محمد معتصم، عبد الجليل الأزدي، عمر حلي، المجلس الأعلى للثقافة، ط2، 1997م. ص47

⁴ نفسه، ص 59

إن اتساع المفارقة (د) في زمن السرد، يشير في الرسم السابق إلى الاستباق، واتساع المفارقة (ب) في زمن السرد يشير إلى الاسترجاع، لأن (ب) في زمن القصة تقع في المرتبة الثانية، وفي زمن السرد تقع في المرتبة الرابعة.

* أمثلة على الاستباق من السير الثلاث:

وكما هو ملاحظ في سيرة الملك سيف بن ذي يزن بدأ الراوي الحديث عن الملك سيف قبل مولده، وأنه سيقضي على الأحباش "من صلبه واسمه من اسمه ويظهر دين الإسلام ويأمر الناس بعبادة الملك العلام، ويكون جميع الحبشة والسودان غلماناً وخداماً لأولاد سام بن نوح ^{عليه السلام}"¹

أما في سيرة عنترة بن شداد فقد تحدث عنه قبل الحديث عن مولده، "ولما أراد الله سبحانه وتعالى هلاك تجبرهم وتكبرهم أذلهم الله تعالى وقهرهم بأقل الأشياء عليه وأحقرهم لديه وكان غير عسير عليه وذلك بالعبد الموصوف بأنه حية بطن الواد"².

وفي سيرة الوزير سالم أخبر التبع حسان اليماني بأن قاتل كليب هو جساس في المستقبل وأحد عبيده سيكمل عليه بالذبح، وكليب سيكتب وصيته على البلاط:

"وأنت برمح جساس ستطعن وعبيدي يذبحك بين الجماد

وتكتب في دمالك على البلاطة لمن يعذك لتشتيت الأعادي"³

* الاستغراق الزمني:

أو التفاوت النسبي بين زمني القصة والسرد، والذي يولد اقناعاً لدى القارئ بأن هذا الحدث قد استغرق فترة زمنية مناسبة لطوله الطبيعي أو أنها غير مناسبة له.

"إذا كان من السهل أن نقارن النظام الزمني لقصة ما مع النظام الزمني الذي تبناه الراوي؛ لكي يحكي تلك القصة فإن الأمر يصبح أكثر صعوبة إذا تعلق بمقارنة جادة نريد أن نقيمها بين زمن القصة، وزمن السرد، إنه في بعض الحالات يمكننا القول: إن هذا الحدث قد دام ساعة واحدة، وذلك الحدث الآخر دقيقة واحدة، ولكن كيف نقيس زمن الحكي؟ هل يمكننا أن نقرنه بزمن القراءة؟ إنه في هذه الحالة ينبغي أن نأخذ بعين الاعتبار القراءات السريعة والقراءات البطيئة، هل نلجأ إلى حل وسط؟ الحق أنه يحسن بنا أن نتخلى عن مقارنة من هذا النوع"⁴.

¹ سيرة الملك سيف، ج1، ص 15

² سيرة عنترة، ج1، ص 4

³ سيرة الوزير سالم، ص 19

⁴ Pour li recit.p93

وبما أن دراسة الاستغراق الزمني غير ممكنة؛ فإن ملاحظة الإيقاع الزمني عند القارئ ممكنة، فبسبب هذا الاختلاف خلف عنده انطباعاتاً تقريبياً عن السرعة الزمنية، أو التباطؤ الزمني، ولهذا يقترح جيران أن يدرس الإيقاع الزمني من خلال التقنيات الآتية (الخلاصة، الاستراحة، القطع، المشهد).

-تقنيات الإيقاع الزمني:

-الخلاصة:

تعتمد "على سرد أحداث ووقائع يُفترض أنها جرت في سنوات أو أشهر أو ساعات، واختزالها في صفحات أو أسطر أو كلمات قليلة دون التعرض للتفاصيل"¹، وهو "وسيلة الانتقال الأكثر طبيعية من مشهد إلى آخر، أي الخلفية التي يبرز عليها المشهدان"² ومن الواضح أننا لا نستطيع تلخيص الأحداث إلا عند حصولها بالفعل، أي عندما تكون قد أصبحت قطعة من الماضي، ولكن يجوز افتراضاً أن نلخص حدثاً حصل، أو سيحصل في حاضر أو مستقبل القصة"³.

فمن الملاحظ في سيرة الملك سيف أن التلخيص الزمني موجود فمنه هذا المثال: "وظل كل منهما يحكم مدينته إلى أن جاءتهما البشائر أن زوجة كل منهما قد حملت، فعم السرور المدينتين، وملأت بشائر الأفراح جزر واق الواق كلها، جعلاً ينتظران ما تأتي به الأقدار، وكل منهما يعلق كبير الأمل على المولودين ووضعت زوجة قاسم العبوس بنتاً، بينما وضعت زوجة أخيه عاصم ولداً ذكراً"⁴. أما سيرة عنترة بن شداد: "ولما أن انقضت أيام حملها وضعت ولداً ذكراً أعبس فتبينته فإذا قد خرجت من حجرها حية رقيقة ودخلت في أنف ذلك المولود"⁵.

وسيرة الوزير سالم: "وشاع ذكره في الأقطار وتحدث به الملوك الكبار واستمر على هذا الحال مدة ثلاثين سنة وهو في عز وسلطنة وتهابه ملوك القياصرة وتخدمه كماء الجبابرة"⁶.

-الاستراحة:

تكون في مسار السرد الروائي توقفات معينة يحدثها الراوي بسبب لجوئه للوصف، فالوصف يقتضي عادة انقطاع السيرة الزمنية ويعطل حركتها.

¹ بنية النص السردى، ص 76

² فن السرد، ص 134

³ بنية الشكل الروائي، ص 145

⁴ سيف بن ذي يزن، قصة فاروق خورشيد، ص 37

⁵ سيرة عنترة بن شداد، ج 1، ص 9

⁶ سيرة الوزير سالم، ص 10

فلاحظ ذلك في سيرة الملك سيف والراوي يصف حال الملك ذي يزن: "فلما سمع الملك ذلك الكلام أخذته الوجد والغرام وفرح وأخذه الابتسام وقال: افعل أيها الوزير ما بدا لك، زين الله أعمالك".¹

وفي سيرة عنترة والراوي يصف عبلة: "عبلة كانت من جملة البنات والنسوان، وقد خرجت وهي تزهر بينهن كأنها الغزال العطشان وعليها الحلي والحلل المختلفة الألوان، وتولى عنترة خدمتها وقد غرق في بحر محبتها، و سبته بسواد مقلتيها".²

أما في سيرة الوزير والراوي يصف حال البسوس أخت تبع بعد أن فقد زوجها بصره: "فصارت تحكم مكانه، وعظم أمرها واشتهر ذكرها، وما زالت على تلك الحال وهي في أرغد عيش وأنعم بال إلى أن قتل كليب أخاها".³

-القطع:

إن القطع عادة ما يكون في الروايات التقليدية مصرحاً به، وبارزاً غير أن الروائيين الجدد استخدموا القطع الضمني الذي لا يصرح به الراوي، وإنما يدركه القارئ فقط بمقارنة الأحداث بقرائن الحكي نفسه.

فلاحظ ذلك في سيرة الملك سيف: "حقاً لقد قذفته وهو طفل إلى الصحراء؛ ليموت جوعاً وعطشاً أو ليفترسه وحش جائع... وحقاً حاولت قتله أكثر من مرة، بل إن جسده يحمل آثار سيفها البتار الذي جعلت تضربه به وهو يشرب..."⁴

وفي سيرة عنترة: "قامت عبلة من بين أترابها ورقصت بإعجابها وضحكت فلمع البرق من بين نابيها... وإذا بقوم في تلك الساعة يهتك العشق بأنامل البلبال وإذا هم بخيل طلعت عليهم من بين الجبال"⁵

أما في سيرة الوزير سالم: "وبينما هو يترقب الأخبار ويقتفي من القوم الآثار... إذ دخل عليه العابد النعمان الذي تقدم ذكره قبل الآن وكان من أصحاب الوزير وأصدقائه المشاهير"⁶

¹ سيرة الملك سيف، ج1، ص 14

² سيرة عنترة، ج1، ص 100

³ سيرة الوزير سالم، ص 37

⁴ الملك سيف، قصة فاروق خورشيد، ص 13

⁵ سيرة عنترة، ج1، ص 101

⁶ سيرة الوزير سالم، ص 60

-المشهد:

"وهو المقطع الحواري الذي يأتي في كثير من الروايات، في تضاعيف السرد. إن المشاهد تمثل بشكل عام اللحظة التي يكاد يتطابق فيها زمن السرد بزمن القصة من حيث مدة الاستغراق".¹

وكما يسمى سعيد يقطين هذه الأزمنة الثلاثة أي زمن القصة بالزمن الصريح، وزمن السرد بالزمن النحوي، وزمن القراءة بالزمن الدلالي".

-زمن القصة: هو زمن المادة الحكائية في شكلها ما قبل الخطابي إنه زمن أحداث القصة، وعلاقتها بالشخصيات والفواعل (الزمن الصريح).

-زمن الخطاب: وهو الزمن الذي تعطى فيه القصة زمنيتها الخاصة، من خلال الخطاب في إطار العلاقة بين الراوي، والمروي له (الزمن النحوي).

زمن النص: وهو الزمن الذي يتجسد أولاً من خلال الكتابة التي يقوم بها الكاتب في لحظة زمنية مختلفة عن زمن القصة أو الخطاب إننا من خلال تعالق زمن الكتابة بزمن القراءة نجدنا أمام ما نسميه زمن النص كما يتجسد من خلال العلاقة بين الكاتب والقارئ على المستوى الدلالي (الزمن الدلالي)".²

ففي سيرة الملك سيف نلاحظ المشهد: "فهذه سيرة الأمير سيف بن ذي يزن مبيد الكفرة أهل الشرك والمحن في سائر الأمصار والزمن ومجمد الأسحار والفتن، وهي قصة غريبة الوجود والمستعان بالله تعالى الواحد المعبود الذي جعل سر الأولين عبرة للقوم الآخرين وأخبار الأمم الماضية اعتباراً للباقيين".³

وفي سيرة عنترة كذلك: "فاسمع أيها السامع ما كان من أحاديث العريان وما جرى بين يعرب وقحطان وفزارة وذيبيان وعبس وغطفان وأولاد معد بن عدنان وما كان لهم في سالف الأزمان".⁴

أما في سيرة الوزير سالم: "فهذه سيرة الأسد الكرار والبطل المغوار الذي شاع ذكره في الأقطار وأذل بسيفه كل صنديد وجبار المهلهل بن ربيعة صاحب الأشعار البديعة، والوقائع المهولة المريعة وما جرى له في تلك الأيام مع ملوك التبايعه وفرسان الصدام".⁵

وقد ميز بنفنست بين مفهومين للزمن: وهما الزمان الفيزيائي، وزمن الأحداث، وأضاف زماناً آخر هو الزمن اللساني.

¹ بنية النص السردية، ص76-77-78

² انفتاح النص الروائي، ص 49

³ سيرة الملك سيف، ج1، ص2

⁴ سيرة عنترة، ج1، ص2

⁵ سيرة الوزير سالم، ص2

"الزمان الفيزيائي:

يحدده باعتباره مستمراً وخطياً وقابلاً للتقسيم والتقطيع إنه المدة المتغيرة والتي يقيسها كل فرد حسب أحاسيسه، وانفعالاته، وإيقاع حياته الداخلية.

-زمن الأحداث:

وهو الزمان الذي يقابل الزمان الفيزيائي، وله مطابقه النفسي عند الإنسان، إنه يغطي حياتنا باعتبارها متتالية من الأفعال، والأحداث.

-الزمان اللساني:

هذا الزمان هو الذي تبرز لنا من خلاله التجربة الإنسانية للزمان، وهو غير قابل للاختزال من خلال زمان الأحداث، أو الزمان الفيزيائي إنه مرتبط بالكلام ويتحدد وينتظم باعتباره وظيفة خطابية¹. لذلك اهتم اللسانيون بهذا الزمان، ونجحت اللسانيات من خلال رصدها لمختلف الأشكال الزمنية في اللغة، بعد أن تطور فهمنا لمختلف تجلياته سواءً على الصعيد النحوي، أم الدلالي.

ولهذا التمييز الذي أدخله الشكلايون الروس داخل العمل الحكائي بين القصة والسرد، دورٌ كبير في تحليل الزمن في جميع الأعمال الحكائية: "وهذا التمييز أعطاه بنفسه بعدة اللساني، انطلاقاً من تحليله لمقولة الزمان اللساني من خلال العلاقات الزمانية في الفعل الفرنسي وانتهى إلى إبراز أن هناك مستويين متميزين للتلفظ. يظهر المستوى الأول في حكي الأحداث الماضية، حيث تقدم الأحداث دون تدخل من المتكلم (الحكي) ويبرز الثاني من خلال التلفظ الذي يسعى من خلال المتكلم إلى التأثير في المخاطب وينعته باسم الخطاب"².

وفي السيرة الشعبية سنرصد زمان القصة في ذاته، كما يتحقق من خلال السرد، والبنى الزمانية في السيرة الشعبية متصلة بالبنى الحكائية الأخرى، ومن هذا المنحى سنذهب إلى التمييز بين أبعاد الزمان الثلاثة في العمل الحكائي.

1- زمان القصة: ونبحث فيه عن البنى الزمانية باعتبارها إطاراً لأفعال الفواعل.

2- زمان الخطاب أو السرد: الوقوف عند البنى السردية في علاقتها بزمان القصة.

3- زمان النص: سيكون للكشف عن مختلف العلاقات التي تربط بين مختلف الأزمنة، إن التجربة الزمانية تسير من خلال سير الأحداث، وهي تجري في الزمان من خلال الشخصيات، حيث يقول (بول

¹ قال الراوي، ص 161

² نفسه، ص 162

ريكور): "الزمان لا يغدو زماناً إنسانياً إلا بتمفصله من خلال نمط حكائي معين، وأن الحكى لا يكتسب دلالة إلا ضمن الشرط الزماني الذي يتحقق من خلاله".¹

ومن هذا التصور يوضح ريكور أن للحكي خاصية مهمة، تتمثل في أنه يستطيع التمفصل إلى تلفظ، وملفوظ، وهو يتجاوز هذا التمفصل الذي يقف عنده اللسانيون، والسرديون، فمن خلال عرضه لآراء بنفنست يوضح أن التلفظ عنده هو الحكى، أو الخطاب عند بنفنست، وأن الملفوظ هو القصة. "فهو أننا بهذا التمييز نصبح أمام علاقيتين: 1- علاقة زمان التلفظ بزمان الملفوظ.

2- علاقة الزمانين السابقين بزمان الحياة، وزمان الحدث".² ويؤكد ريكور بعد مناقشاته للسرديات البنيوية، إدخاله زمان العالم إلى جانب زماني التلفظ والملفوظ، أو ما يسميه بتجربة الزمان.

¹ P.Ricoeur, 1983.p85

² P.Ricoeur, 1984,p97

المبحث الثاني

الزمان التاريخي

تتميز به بنية الرواية التقليدية والتي يجيء فيها الزمان متسلسلاً تسلسلاً منطقياً، ذا بداية ووسط ونهاية "فهو الزمن الذي يرتبط بالسيرة الذاتية الموضوعية لحياة الأبطال، وهو الزمن الذي يعتمد الراوي التقليدي بضمير هو-من خلاله-إلى إيهامنا بواقعية ما يرويهِ من أحداث، وعلاقات روائية"¹. ومن حيث درجة الصفر التي يعدها اللسانيون الزمان الحاضر، وظهور الإسلام بمثابة درجة الصفر لأنها حقبة أساسية في التاريخ العربي، ولا يعتمد هذا التمييز على أساس ديني (جاهلية-إسلام)، فنجد الملك سيف أسلم على يد الشيخ جباد، وبدأ بمحاربة الكفر المتمثل في الأحباش، وبعض أبناء عنترة يدركون الإسلام ويحاربون الكفار أمثال: (عنيترة والخذروف وابنه عمرو)، ومن خلال ما قبل درجة الصفر، يمكن تحديد زمان البداية للسيرة الثلاث.

* زمان البداية أو زمان ما قبل درجة الصفر:

من الصعب تحديد زمان السيرة الأولى بين السيرة الثلاث، فسيرة الملك سيف تذكر فترة نبي الله نوح عليه السلام، وتقلنا إلى عالمٍ زاهرٍ بالجن والسحر، وسيرتي عنترة والوزير سالم، قريباً عهد من زمان النبي صلى الله عليه وسلم وتقدم لنا سيرة الزير إشارات إلى الملك سيف بن ذي يزن، وعنترة بن شداد، ويرى سعيد يقطين أن زمان البداية يحدد من سيرة الزير سالم؛ لأنه لا يبحث عن مرجع تاريخي "وبما أننا لانبث عن مرجع تاريخي لتحديد الزمان بالصورة المطلقة، نعتمد ما يقدمه لنا النص السيري من إمكانات زمانية داخلية للترتيب"². ويقصد بالنص السيري، ملحمة التبع حسان اليماني الكبرى التي أنشدتها أمام كليب فمن خلالها، نحدد زمان البداية للسيرة الشعبية من خلال سيرة الزير سالم.

حيث إن الملحمة أشارت إلى سيرة الزير سالم، ثم سيرة الملك سيف بن ذي يزن، فسيرة عنترة بن شداد، فالمحمة تتحدث عن أصول العرب الأولى، وانقسامهم إلى فئتين يمنية، وقيسية، ومن القيسية ريبة والد الزير وعمه مرة، ومن اليمنية التبع حسان اليماني، ومن نسله الملك ذو يزن الذي يظهر في السيرة كالتبع اليماني مستعرضاً جيوشه وقواته. "ثم إن الملك ذا يزن لما أن تداولت عليه الأيام، والشهور، والأعوام، وأقبل عليه العيد خرج إلى ظاهر المدينة هو وسائر العالم، وجميع عساكره وجنده ولم يبق في البلد أحد من الرجال إلا النساء، والأطفال فنظر الملك ذو يزن إلى كثرة عساكره عرضاً وطولاً فوجدهم عالماً لا يحصى بعد الرمل والحصى فأمر بعرضهم عليه، وأمر بعدهم، وإحصائهم فعدوهم وأحصوهم في دفاترهم، وأخبروا الملك بذلك وقالوا: أيها الملك الهمام والأسد الضرغام إن عدد

¹ تقنيات السرد في النظرية والتطبيق، ص 98

² قال الراوي، ص 169

عساكرك وجندك أربعمئة ألف فارس قناعس، وأربعمئة ألف عمالقة، وأربعمئة ألف مدرع، ولابس،
وأربعمئة ألف بالعمد، والبلط، والفؤوس كأنهم أسود عوابس.¹

*زمان النهاية أو زمان ما بعد درجة الصفر:

تأتي سيرة عنترة ثالثاً: بعد سيرة الوزير سالم، والملك سيف، فهي تمهد لظهور الإسلام، وتتحدث
كذلك عن الأصول الأولى للعرب في شبه الجزيرة العربية، حيث تكاثرت القبائل، وتوزعت في المناطق،
ومن تلك القبائل قبيلة عبس التي ينتمي إليها عنترة إذاً فسيرة عنترة تعد امتداداً لسيرة الوزير والملك
سيف، وتمهد لظهور الإسلام.

ويمكن أن نرتب السير الثلاث حسب ملحمة التبع حسان اليماني كالتالي:

1 -الوزير سالم	2 -الملك سيف	3-عنترة بن شداد	0-ظهور الإسلام
----------------	--------------	-----------------	----------------

وفي نهاية سيرة عنترة نشهد البدايات الأولى لظهور الإسلام حيث إن ما تبقى من بني عبس بعد
موت عنترة وانتصاراتهم على بني نبهان، وبمشاركة خالهم الحبشي الملك صفوان بن معدان، ومجيئ
أبناء ملوك الفرس والروم وملوك العرب لحضور عزاء عنترة، وظهور حفيد شيبوب عمرو بن أمية
الضمري، أسلم بنو عبس وذهبوا إلى مكة المكرمة لإعلان إسلامهم فصار عمرو بن أمية الضمري
ساعي سعاة الرسول ﷺ وأبيه الخذروف كذلك ودعاء النبي ﷺ لعنيترة بنت عنترة بالبركة "وأسلمت
عنيترة وجددت إسلامها هي وخالها عمرو ذو الكلب و أمها وأعمامها وتعجب رسول الله ﷺ من عظم
صورتها، وكثرة هيبتها مع ما سمع عنها من قوتها وشجاعتها وفروسياتها وبراعتها فتبسم النبي ﷺ في
وجهها وقال: يا عنيترة إن قاتلت في الإسلام مثل ما كنت تقاتلي في الجاهلية ضمنت لك على الله الجنة
فقالت: يا رسول الله وحرمة دين الإسلام لأقاتلن بين يديك قتالاً تقصر عنه الأوهام وتعجز عنه جميع
الأنام وقد دعا لها رسول الله ﷺ وقال لها: بارك الله فيك يا أم الزعازع وولاك عني قتال الكفرة في سائر
المعامع."² فتقدم الخذروف وأسلم على يدي النبي ﷺ وشاهد وجهه المظلل بالغمامة، وشرح الله صدره
للإسلام، وأضاف النبي ﷺ الخذروف إلى سعائه وأنزله في بعض أبياته وقال لعمرو بن أمية الضمري ولد
الخذروف: يا عمرو أنت المقدم على جميع السعاة."³ ثم مد يده الكريمة على جسد جرير فازداد بذلك

¹ سيرة الملك سيف، م1، ص3

² سيرة عنترة، م8، ص349

³ نفسه، ص346

قوة، وشظاوة، وانبساطاً، واشتد على السعي جلادة، وأكد بذلك مبغضيه، وحساده، وصار جرير يغدو مثل الجواد السارح أو الطير البارح.¹

-العلاقات الزمانية الأساسية:

اهتم الباحثون والدارسون بالتضمين والتسلسل وأيضاً التأطير عند الشكلايين "ركز الدارسون على شكلين من العلاقات هما التضمين والتسلسل"²، "وكما أن الشكلايين الروس اهتموا بشكل آخر هو التأطير".³

1-التأطير:

وهو الحلقة التي تضم كل السير استباقاً أكبر لها، بتجسيد زمن البداية وكذلك زمن النهاية، إذ تعد ملحمة التبع حسان الكبرى بمثابة تأطير وجود السير الثلاث، فهناك زمان بداية (سيرة الزير) وزمان نهاية (سيرة عنترة)، "لجوء الراوي إلى هذه الملحمة الكبرى وعلى لسان التبع حسان، وهو أول اليمنية يبين لنا إلى أي حد كان تأليف مختلف السير موجهاً وخاضعاً لهذا النص الجامع والسابق، وهو يأتي على شكل استباق، أو تقيؤ يتحقق من خلال السير الموجودة".⁴ نورد بعضاً من أبيات الملحمة:

" يقول التبع الملك اليماني	لهيب النار تشعل في فـــــــؤادي
أمير كليب يا فارس ربيعة	ويا حامي النساء يوم الطـــــــراذي
أريد اليوم أن أعلمك شيئاً	لتعرف حال أخبار العـــــــباد
ويظهر لك غلام بعد موتك	يسمى الجرو قهار الأعـــــــادي
وهو يقتل إلى جساس خاله	وأما الزير تقتله الأعـــــــادي
وسيف ذو يزن بعده سيظهر	وتصحبه السعادة في العـــــــباد
وبعده يظهر المدعو بعنترة	يهين الضد في يوم الطـــــــراذي
وبعده يظهر الهادي محمد	يقيم الدين ما بين العـــــــباد
وأصحابه معه عشرة كوامل	كرام الناس سادات البـــــــلاد ⁵ .

¹ سيرة عنترة، ص 345، لم أقف على ما يثبت صحة هذا الحديث في كتب الحديث، ولم يرد تصحيحه في المصادر الحديثية التي تم الرجوع إليها.

² T.Todorv, Les categories durecit litteraire, in: Communications, op.p.146

³ انظر توماشفسكي، نظرية الأدب، مر، مذ، ص 271

⁴ قال الراوي، ص 173

⁵ سيرة الزير سالم، ص 19، أوردت الأبيات كما وردت في السيرة الشعبية، محافظة على نصها دون تصحيح أو تعديل، ومن ثم أبقيت ما قد يعثرها من اختلال في الوزن.

2- التسلسل:

وهو التوالد النصي إذ إن سيرة الزير سالم، هي نقطة بداية نتجت عنها سيران هما: سيرة الملك سيف وسيرة عنترة، وتعد سيرة الزير سالم هي الأصل الذي تشعبت منها جميع السير الشعبية، حيث يمكن البدء منها لتحديد السير التي تليها من سيرة الملك سيف بن ذي يزن، ثم سيرة عنترة بن شداد فسيرة الملك سيف تبدأ بذكر الملك ذي يزن الحميري، وذكر قوته وجيشه.

"أنه كان في قديم الزمان وسالف العصر والأوان ملك من الملوك السابقة ذو عز وتمكين وهيبة عند أهل القرى والمدن من تلك الأرض والدمن؛ لأن جميع الخلق تخشى من سلامته والملوك تفزع من هيئته؛ لأنه قوي الأركان شديد البطش، والسلطان، ولم يوجد له مثال من ملوك الزمان، وهو من بني حمير الذين أخبرهم بين جميع الخلق شائعة، وساكن بأرض اليمن".¹

أما سيرة عنترة فقد بدأت بالحديث عن أصول العرب، وتشيعهم كما تحدثنا في فصل الشخصيات لتتقلنا إلى بطل السيرة بعد ذكر قصة إبراهيم الخليل عليه السلام، والنمرود، وابنه النبي إسماعيل عليه السلام، وتتأسل العرب "فاسمع أيها السامع ما كان من أحاديث العربان، وما جرى بين يعرب وقحطان، وفزارة وذبيان، وعبس وغطفان، وأولاد معد بن عدنان، وما كان لهم في سالف الأزمان وما كان بين أولاد نزار، وكانوا أربعة وهم مضر وربيعه وإياد وأنمار، وكان أكبرهم يقال له: مضر لما أن كثرت أموالهم ورجالهم، وزادت أنعامهم يا إخوتي أنا أكبركم، والموصى بالملك من بعد والدكم فاسمعوا مني ما أقوله لكم: فارحل أنت يا ربيعة واسكن أرض العراق، وأنت يا إياد أخي ارحل بمالك وأنعماك، واطلب أرض اليمن، وأنت يا أنمار ارحل بمالك وأنعامك، واطلب أرض الشام، واتخذوا من السلاح أجوده، وكانت خيولهم حمر، وأسميت عرب ربيعة بالغر من أجل حسن حالهم، وملبوسهم، وعرب إياد قحطان، وعرب الشام غسان، وعرب الحجاز بني عدنان، والعراق بني شيبان، واليمن قحطان، ونسبهم كلهم متصل إلى نزار، وبعد ذلك وقع بينهم الحرب والقتال على المياه، والغدران، والمناهل، والأوطان، واستمرت الحرب مع طول الأيام هذا ما ذكره علماء السير، والحكماء، والكهان الذين رووا أخبار العربان الجاهلية قبل ظهور سيدنا محمد ﷺ خير البرية".²

كما نجد حديث أصول العرب في سيرة الزير سالم، وكيف تشعبت العرب، وكيف حدثت الصراعات العربية القديمة كحرب البسوس، وقد ذكرت السيرة مصير الزير، وكيف أن قومه تشتتوا بين القبائل، ولم تقم لهم قائمة بعد مقتل الزير خوفاً من الثارات ضدهم، حتى أن بعضهم التحقوا بقبيلة عبس قبيلة عنترة.

¹ سيرة الملك سيف، م1، ص2

² سيرة عنترة، م1، ص3-4

"فلما جرى للمهلل الذي يلقب بالوزير، وأخذ الثأر وكشف عنه العار وأخذ بثأر أخيه كليب، وقتل الحارث بن عباد اليشكري في أرض العراق، وكان ما كان فسبحان من له البقاء والدوام! وبقي ذكره على ألسنة العوام فجفلت عربيه بعد موته خوفاً من العربان؛ لأنه كان في زمانه قد أباد الشجعان، وأهلك الأقران، وقد دانت له البلاد، وأطاعته العباد فخافت قومه أن تخلصهم العربان من كثرة ما كان عليهم من الدماء في زمن المهمل تشبثوا في تلك الآفاق، وكل فرقة منهم التجأت إلى بني عبس. فلما التجأت إليه قوم المهمل أمنهم، وأعطاهم الأمان، والذمام فخافهم العربان."¹ وفي هاتين السيرتين الملك سيف، وعنترة نجد أننا أمام امتداد لسيرة الوزير سالم من ناحيتين: الأولى تتابع أعمال الملك حسان اليماني في سيرة الملك سيف بن ذي يزن، الذي أكد في ملحمة الكبرى أن التبعية من صلبه الذي سيخرج منهم الملك سيف الذي قهر الأحباش، ومن الناحية الأخرى لجأ قوم الوزير سالم إلى القبائل العربية من ضمنها قبيلة عبس اللجوء الذي لا معنى له سوى امتداد لأعمال الوزير سالم من خلال عنترة بن شداد، أي أننا أمام تسلسل (سابق ولاحق).

3-التضمين:

وهو التداخل بين الوقائع من خلال سرد الراوي لأحداث متضمنة جارية، سواءً كانت تلك الأحداث سابقة، أم لاحقة؛ حيث نجد مثلاً لنموذج اللحاق في سيرة عنترة، إذ قدمت لنا إشارات ماذا حدث في سيرة الوزير سالم: "فلما جرى للمهلل الذي يلقب بالوزير، وأخذ الثأر، وكشف عنه العار، وأخذ بثأر أخيه كليب، وقتل الحارث بن عباد اليشكري في أرض العراق، وكان ما كان فسبحان من له البقاء، والدوام! وبقي ذكره على ألسنة العوام فجفلت عربيه بعد موته خوفاً من العربان؛ لأنه كان في زمانه قد أباد الشجعان وأهلك الأقران وقد دانت له البلاد، وأطاعته العباد فخافت قومه أن تخلصهم العربان من كثرة ما كان عليهم من الدماء في زمن المهمل تشبثوا في تلك الآفاق، وكل فرقة منهم التجأت إلى أكثر التجاء إلى بني عبس فلما التجأت إليه قوم المهمل أمنهم، وأعطاهم الأمان، والذمام فخافهم العربان."²

ونجد مثلاً للتضمين من إشارات نص سابق، إلى نص لاحق في سيرة الوزير مثلاً واضحاً لسيرة عنترة بن شداد، بل ذكر بطل السيرة نفسه عندما ذكره الفارس العبسي للأمير أوس، أو عندما ذكره الأمير أوس لعمه الأمير مالك.

"قال: إني من بني عبس، وعدنان أصحاب الفضل، والإحسان إني سائر إلى ديار بني عامر استدعي حامينا عنترة فارس الخيل؛ لأنه سار من عشرة أيام ليحضر وليمة دعا إليها عامر بن الطفيل،

¹ سيرة عنترة، م1، ص 57-58

² سيرة عنترة، م1، ص 57-58

وفي غيبته غزانا عمرو بن معد في خمسة آلاف فارس فحاربنا محاربة شديدة، وجرى بيننا وبينه وقائع شديدة فأرسلني مولاي قيس بن زهير لأستدعيه للحضور قبل أن يظفر بنا عمرو المذكور".¹ "وشكر الأمير مالك ابن أخيه على فعله عند وصوله إلى الخيام حدثهم الأوس بما جرى فتعجبوا من فعالة ثم حدثهم بحدث عنتر، وما سمع عنه فقال عمه: لقد سمعنا بذكره، وإنه أفرس فرسان عصره".²

ونجد كذلك مثلاً للتضمنين من نص سابق إلى نص لاحق في سيرة الملك سيف مثلاً واضحاً لسيرة عنترة، عندما ذكر الراوي وجه الشبه بين دُمر بن الملك سيف، وعنترة بن شداد "نقلت رواية السيرة أن أول جبار كان على وجه الدنيا في الحروب نزل، كان دمر بن الملك سيف بن ذي يزن لكن في تلك الأيام ما كان يعلم بنفسه بل يظن أن العالم كله مثله، وأما القوة التي أعطاها الله لدمر بن الملك سيف بن ذي يزن، وجسارة قلبه، وقاتله، وهجماته في حربه، ونزاله لم يكن بعده إلا عنتر بن شداد".³

نلاحظ أن أوجه العلاقات في التأطير والتسلسل والتضمنين توضح، وتبين الروابط بين السير الشعبية، فالراوي على علم بوجود السير الأخرى فهو يعرف سياقها، وترتيبها بين بقية السير. لذلك كانت تضميناته أو تأطيره يؤخذ إما بعد الاسترجاع أو الاستباق ويقطع هذا بوجود بنية كبرى لها بداية ونهاية وبحسب النقطتين معاً كان يستبق تارةً ويسترجع طوراً".⁴

-الاستباق:

تكثر الاستباقات في السيرة الشعبية التي تشكل بؤرة السيرة "تزخر السير الشعبية بالاستباقات، بل إنها تبتدئ بما يمكن أن نسميه الاستباق الأكبر، الذي يشكل بؤرة السيرة أو وظيفتها المركزية التي تتولد عنها مختلف الوظائف الأساسية".⁵

فالاستباق يسجل ما سيكون عليه الزمان، وهو قيد التحقق أو ما يسميها يقطين بدعوى النص "فهي تمثل رؤية خاصة للزمان، ووعياً متميزاً للراوي الشعبي بتجربة الزمان؛ وذلك لأنها تبين أن للزمان منطلقاً خاصاً، ونظاماً متميزاً يسير عليه".⁶

¹ سيرة الوزير سالم، ص 125

² نفسه، ص 127

³ سيرة الملك سيف، م2، ص 379

⁴ قال الراوي، ص 177

⁵ نفسه، ص 185

⁶ قال الراوي، سعيد يقطين، ص 186

فدعوى النص في سيرة الملك سيف، هي دعوة سيدنا نوح عليه السلام على أبناء ابنه حام؛ فهي سابقة لأنها قول ولاحقة التحقق لأنها فعل، فالقول هو السبب السابق، أما الفعل فهو نفاذ هذا القول على يد الملك سيف بن ذي يزن فيصبح أبناء حام عبيداً لأبناء سام، فهذه الدعوى هي الأساس الذي يحدد نظام الزمان، وهي بؤرة تولدت عنها كل الأفعال الجارية في الزمان. "فقال الحكيم سقرديون للعين المفتون: اعلم يا ملك الزمان أنني أخاف من ذلك الأمر، والشأن، وتعدم السعادة، والتوفيق ويدركنا الشقاء، والتعويق وتنفذ دعوة نوح عليه السلام فينا يا ملك أفراح، ويكون نفاذها على يد هذا الغلام الذي وجده الصياد في ذلك البر، والوعاد".¹

"فكل أفعال السير الشعبية ليست سوى تفسير أو تأويل للقول السابق الذي تتضمنه يمكن التعامل معها على أنها ما قبل زمانية، ويبرز ذلك في كونها وهي تأتي في بداية النص السيري تقدم إلينا على مسافة زمنية قد تطول، لتصل إلى قرون أو تقصر حياة جيلين من فعل الحكيم الأول ميلاد صاحب الدعوى".²

يعد الاستباق الزمني أساس كل ما يجري في الزمان، فالملمحة الكبرى للتبع حسان اليماني هي الاستباق للنص السيري.

ومن الملاحظ أيضاً في هذه السير تشعب السير لظهور سير أخرى، كما في سيرة الملك سيف بن ذي يزن، وعلاقتها بسيرة الوزير سالم فالتباعدة حسان اليماني وأخته سعاد التي هي سبب الفتنة بين البكرين والتغلبين، يشكلان نواة أساسية ومهمة في سيرة الوزير سالم، حيث تطورت بظهور الملك سيف من نسل التباعدة، ولكنها تسير في اتجاه مغاير لسيرة الوزير "قال الراوي: وأعجب ما اتفق، وتسطر من الأحاديث التي تروى، وتذكر حديث العجوز الشاعرة أخت الملك تبع حسان الذي قتله كليب كما شرحنا قبل الآن، وهي المرأة التي ذكرها تبع لكليب في ملحمته بأنها سوف تظهر بعده، وتلقي الفتنة في القبائل؛ وبسببها يقتل كليب، وتثير الحرب بين بني بكر، ويلقى عشائر العرب وكانت هذه العجوز من عجائب الزمن، وغرائب الألوان ذات مكر، واحتيال، وخداع ساحرة مأكرة، وكان لها أربعة أسماء سعاد، وتاج بخت، وهند، والبسوس، وكان التباعد عند ولادتها سماها سعاد؛ لأنها في يوم ولادتها وردت إليه أسواق السبعة أقاليم، وأمها سمها تاج بخت وهند؛ لأنها كانت تأكل كثيراً من جوز الهند، وكانت مع هذه الأوصاف القبيحة جميلة المنظر فصيحة الكلام شديدة البأس".³ وهذا التشعب أيضاً يبرز بصورة أخرى من خلال الاندماج، والانصهار بين قوم الوزير بعد وفاته، وقبيلة عبس في سيرة عنترة، والقاسم المشترك بين هذه السير هو الاستمرار بين العوالم نفسها في صلاتها وروابطها.

¹ سيرة الملك سيف، 1م، ص32

² نفسه، ص 186

³ سيرة الوزير سالم، ص 36-37

لكن هل كل الشخصيات على معرفة تامة بزمان الدعوى، ونفاذاها؟ أم هي معرفة مقصورة

على بعض الشخصيات؟

إن المعرفة بالزمان مقصورة على بعض الفئات من الشخصيات كالعلماء، والحكماء.

إذ يحوزون على بعض الكتب والملاحم التي تدلهم على معرفة الزمان، وما الأحداث التي ستحدث في ذلك، فهم يرصدون الذخائر باسم بطل معين، ويوكلون خداماً يقومون على خدمة تلك الذخيرة حتى يأتي صاحبها الذي لا يخلو من علامات معينة، كذكر الحسب، والنسب أو علامات واضحة على وجهه كالشامة التبعية.

*مصادر معرفة الزمان أو طريقه:

وهي: (الكتب القديمة -الذخائر-تحت الرمل-التنقل واستراق السمع من قبل الجن-يوم السعد ويوم النحس-الأولياء والصالحون).

1-الكتب القديمة:

تتحقق من خلال كتب الحكماء والكهان السالفين إن المطلع على الكتب القديمة والملاحم ذو معرفة واسعة بما سيحدث، وهذه الكتب قد تكون بحوزة حكيم أو كاهن والذي يطلع عليها من هؤلاء الحكماء والكهان يعد الأبرز في عصره فمثلاً: نلاحظ الحكيم سقريديون طلب كتاب النيل مهراً لشامة من الملك سيف بن ذي يزن وكذلك الوزير يثرب والوزير بحر قفقفان يطلعان على الكتب القديمة فيعرفان أن هناك نبياً سيأتي ويظهر في آخر الزمان فيؤمنان به، ويكتمان إيمانهما.

وهؤلاء المطلعون على هذه الكتب القديمة على معرفة تامة بالزمان، وبما سيحدث فيه ويمثلون في عصرهم دور العارف بالزمان وهذه المعرفة لا تشاع بين الناس إلا في ظروف خاصة وزمان محدد.

"واعلم أيها الملك السعيد والحاكم على تلك البلاد والبيد أنني وجدت في الكتب العظيمة والملاحم القديمة أن يظهر من نسل حام سودان يسمون العبيد ويظهر من نسل سام ولد يقال له: السيد اللبيد، ويظهر من نسله ولد يقال له: التبع جار الغزال، ويظهر الأهوال ويظهر من نسلهم ولد يقال له: سيف بن ذي يزن، ويكون أبوه من بلاد اليمن".¹

إن الكتب القديمة أُلِّفت في زمان بعيد جداً؛ حيث ظل العلماء والحكماء يتوارثونها، ويحيطونها بسرية تامة، فسيرة الوزير سالم تقدم التبع اليماني حسان عالماً بالجفر (وهو علم يبحث فيه عن الحروف، من حيث هي بناء مستقل بالدلالة، ويسمى أيضاً بعلم الحروف)، وبكل ما سيجري حتى خروج الدجال، و المعرفة التي تسبق زمان النفاذ كانت موجودة في عدد من الشخصيات قد تترك أثراً يستفيد منه في المستقبل، ومن هذه الآثار: الكتب المسطورة ككتاب الجفر الذي يعلم به التبع اليماني حسان ،

¹ سيرة الملك سيف، م1، ص32

والذخائر المتروكة لشخصية معينة بتنفيذ الدعوى كسيف آصف بن برخيا وزير نبي الله سليمان عليه السلام الذي تركه للملك سيف بن ذي يزن، وكنز لوط عليه السلام، وهود عليه السلام، وسام أيضاً تركت للملك سيف، أو أحد أبنائه "هذه هبة من آصف بن برخيا إلى الملك سيف بن ذي يزن".¹ وهناك شخصيات معينة، و موكلة بحفظ الذخائر، وتظل تتوارثها حتى يظهر صاحبها.

وتبقى هذه الشخصية منتظرة لشخصية صاحب الدعوى، من ذلك كلام السطيح للملك سيف:

"لقد خلقني الله منذ سبعمائة عام، وكنت في أرض غير هذه الأرض، ولكن آتيت إلى هنا لأجل أن أدلك معدية سليمان عليه السلام".²

2-تخت الرمل:

ومنها أيضاً تخت الرمل، عندما ذهب إخوة الجلييلة بنت مرة إلى مضارب الخيام لمعرفة ماذا سيحصل لهم في قادم الزمان فأخبرهم الرمال بأن جساسة سيقتل كلياً، وبأن الزير سوف ينتقم منهم و يقتلهم ويشردهم " وقد اتفق بعد ذلك بأيام أن أولاد مرة قد اجتمعوا مع بعضهم في الخيام، وضربوا تختاً من الرمل ليروا ما يحل بهم وما يجري عليهم، ويصيبهم فبان لهم أن الأمير جساس لابد يقتل الأمير كليب، ويظهر الزير ويأخذ ثاره بدون ريب، ويقتل منهم كل أمير جبار بعد وقائع تستحق الاعتبار فاعتراهم القلق والكدر وأجمعوا رأيهم أن يقتلوا الزير قبل أن يكبر".³

ويظهر كذلك تخت الرمل في سيرة الملك سيف عندما يطلب من حكمائه معرفة سبب مشكلة أو ما شابه ذلك من أمور مملكته وملكه: " ثم إن الدمرياط أخرج تخت رمله وضربه وحقق أشكاله، ونظر فيه قدر ساعة زمانية، والتفت إلى الملك سيف بن ذي يزن وقال له: اعلم يا ملك الزمان أن الحكيمين اللذين أنت طالبهما سارا إلى مدينة الياقوت ودخلا على ملكها وهو ملك كهين يدعي الألوهية وقد تسمى باسم هذه المدينة: لأن اسمه الياقوت الأقصر وهو سحار مكار مع أنه أكثر خلق الله في الطول قصراً ولا يعبد النار والأحجار بل أنه يدعي الألوهية وقد سار الحكماء إليه بالكلية وهذا الذي صار والسلام".⁴

وعندما طلب معرفة نسب مسابق العيار من الحكيمه عاقلة؛ لأنه لاحظ الشامة التي على خد مسابق تشبه شامته التي على خده " فقالت: حباً وكرامة، ثم إنها ضربت الرمل، وحققته، وولدت البنات من ظهور الأمهات، وأخرجت بنات البنات لفك الأمور، والمشكلات وجعلت تستخرج الأحرف

¹ سيرة الملك سيف، م2، ص 189-198

² سيرة الملك سيف، م2، ص238

³ سيرة الزير سالم، ص26

¹ سيرة الملك سيف، م4، ص1750

من أبيات الضمائر، وتأملت فيما استخرجته فظهر لها راية الفرح مقرونة بشكل الاجتماع فتركته في محلها، وتأملت باقي النخت بمعرفتها، وإذا بها دخلت في بيت الجماعات وكانوا هؤلاء أربعة أشكال، فأنزلتهم إلى بيت العقلة وهو العاشر من الأشكال وصعدت بالأحرف التي خرجت فيها إلى كفة الميزان فرجع معها الأجلد في الأوزان، وتقدم الإسعاد وقد تأخرت الأضداد إلى طردهم الإنكيس وراء ظهره.. فعندها ردت البنات في بطون الأمهات، وبنات البنات أدخلتهن على السواقط، وخرجت بعد ذلك على الزوائد، وإذا بالأمهات وقعا على بيت النفس مقروناً بالحياة، ويسمى الجودلة، فظهرت هناك الحروف ناطقة بالأمهات من الآباء، والأجداد، والأمهات غير أنها متصلة بالأشكال، وقالت: اعلم يا ملك الزمان أن هذا مسابق بن كهلان بن مدرام بن سابق بن تاج النانات بن بهرمان شاه بن قمر الزمان بن شاه بن خولان الحميري، بن التبع الحميري بن أسد الحميري بن باعوض الحميري بن حسان بن التبع اليماني".¹

إن هذا العلم كما يبدو من سيرتي الملك سيف، والوزير سالم علم شائع، وإلى جانب هذه العلوم من الكتاب المسطور، والذخائر، وتخت الرمل في معرفة الزمان، هناك طريقة أخرى لمعرفة الزمان وهي:

3-التنقل السريع واستراق السمع:

التي تتم بواسطة الجان، فهم يستطيعون التنقل بسرعة فائقة، وهم عادة معمرين فالحجني يبلغ سن الرشد بعد قرن ونصف فهم يعيشون قروناً، ويتعرفون على الزمان الحالي عن طريق تحركهم السريع: "فلما أمسى المساء إلا وهم قد وصلوا إلى الكنوز، وكانت المسافة بينهم، من مدينة مصر إلى الكنوز مقدار سنة كاملة، وأزيد من ذلك أخذوها في يوم واحد".²

وعلى المستقبل عن طريق استراق السمع، كما ورد ذلك في القرآن الكريم قال ﷺ: ﴿وَأَنَا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقْعِدَ لِّلْمَسْمَعِ ۖ فَمَنْ يَسْتَمِعِ الْآنَ يَجِدْ لَهُ شِهَابًا رَّصَدًا ۙ﴾ سورة الجن آية 9. فقال الرهق الأسود: كان لي صاحب بأرض الماس اسمه زلفى، وهو من توابعي، وكان يسترق السمع، وقد بشرني أن يأتي في آخر عمري رجل تبغي يخلصني، فقلت له: ومن أعلمك به؟ فقال: أنا كنت حاضراً في تقويم الدهقان، وسمعتة يقول لنا: إن في هذا العام يصير خلاص الرهق الأسود على يد ملك من ملوك التبابعة، وهو ملك جليل القدر، والشأن تطليعه الأنس، والجان يقال له: الملك سيف".³

"فلما أن عرف تلك الأمور، وكانوا يخبرونه بها الجان الذين يسترقون السمع من الملائكة، وعرف أن من يحكم على هذه الأرض ملكاً بعد ملك إلى أن عرف الملك سيف، وما يجري له والجهد

¹ سيرة الملك سيف، م4، ص44

² سيرة الملك سيف، م3، ص154

¹ سيرة الملك سيف، م3، ص1348

الذي يقع به، وعرف عبارته مع هذه الملعونة فاصطنع تلك الطاسة، وسماها طاسة الانقلاب؛ لأنها تنقل الشخص إلى صورته، وجعلها داخل كنزه الذي هو ميت فيه".¹

4-الأولياء الصالحون:

ولمعرفة الزمان -أيضاً- عن طريق الأولياء الصالحين، فالشيخ جياذ يخبر الملك سيف عن اسمه الحقيقي، ويعرفه بما سيحققه ضد الأحباش، إلا أن هذه الطرق تمكن من التوقع بما سيحدث، ولا يمكن التغيير "لكن إمكان التعرف على الزمان أيّاً كان مصدر المعرفة بالزمان أن تكون الشخصية إحدى اثنتين:

1-التسليم بالنظام الزمني والخضوع لمشيئته.

2-العناد ومحاولة الفعل قصد تغييره، ولكن الموقف الثاني لا يمكن أن يصطدم بالتعالى الزمني الذي يخضع لمنطق خاص، وسيرورة محددة، لذلك نجد كل الشخصيات في السيرة تتحرك وتؤسس أفعالها على قاعدة أحد الموقفين، وتكون النهاية لفائدة الذي يتحرك وفق الزمان الخاص".²

5-يوم السعد ويوم النحس:

أما سيرة عنترة مقرونة بزمان يوم السعد ويوم النحس فاسمه دائماً مقروناً بالسعد، حيث صرح بذلك صديقه عروة بن الورد "والله يا بني عمي إنه عنترة رجل مسعود وعدوه مقهور".³

وكذلك يعرض الراوي هذه الصفة الملازمة لعنترة منذ ولادته عندما تحدث عن الشاب الذي يشبه عنترة اسماً، وقصته مع ابنة عمه عبلة "وكانت قصة هذا الغلام مثل قصة عنترة البطل الهمام، ولكن عنترة أكثر سعداً، وإقداماً، وسبقت له المشيئة من الملك العلام، ولبس السعد عن ولادته، وإنما السعيد من سعد في بطن أمه. اللهم اجعلني وإخوتي الحاضرين من المسعودين وشفع فينا جميعاً سيد المرسلين".⁴

وقد تحدث عن سعد عنترة -أيضاً- الملك زهير بعد أن انتصر عنترة، وأتباعه على أعدائه وهم بنو فزارة وبنو مرة وشيبان وبنو زياد: "والله إنه من يوم ولد، وهو رجل مسعود من الواحد العلام، وكل من عاداه خرب بيته، وزادت به الآلام".⁵

¹ سيرة الملك سيف، م3، ص1249

² قال الراوي، سعيد يقطين، ص 191-192

³ سيرة عنترة، م2، ص 30

¹ نفسه، م2، ص34

⁵ سيرة عنترة، م2، ص202

وهناك يومان للملك النعمان بن المنذر يوم للسعد، ويوم للنحس، ففي يوم السعد لا يقتل فيه، ولا يغضب، وإن رأى قاتل ذويه يؤجل تأره إلى يوم النحس، وهذا ما حدث للحارث بن ظالم بعد ما قتل ابن الملك النعمان شرحبيل، وفر هارباً، وقبض عليه اللقيط بن زرارة، وذهب به إلى النعمان ولم يقتله، واكتفى بحبسه حتى تنتهي أيام سعه "ومن سعادة اللقيط أن دخوله وافق يوم النعيم وقال: يا قوم اصبروا قليلاً، فقد غمرتموني بالإحسان حتى أصل هذا الملك العظيم الشأن سيد ملوك الزمان، وخليفة كسرى صاحب الإيوان؛ لأن معي عدوه الحارث بن ظالم، وأريد منه العطاء، والمكارم فلما سمعوا منه هذا المقال زاد فرحهم، والابتهاال، وعادوا إلى النعمان، ثم أخبروه بما جرى من الأحوال، ففرح النعمان ومال، وزاد به الفرح، والابتهاال، وأنس من هذا المقال، وقال: خذوه، وفي بعض المطامير ارموه، ووكلوا به جماعة من العبيد، وصبوا عليه العذاب الشديد حتى تنقضي أيام النعيم، والعيد لأنني إن وقعت عيني عليه بدلت النعيم بالبؤس، وبعد ما نكون سعاداً ينقلب نحوس".¹ وصفة السعادة كذلك ملازمة للملك سيف فلا أحد يستطيع قتله "فقاتل الجيزة للرجال: شيلوا قتلاكم لا رحم الله أباكم هذا رجل محفوظ مسعود، وهذه الرجال أرادوا يقتلونه، فشربوا كأس الوبال".²

فهذان اليومان يرتبطان بالزمان، والشخصيات.

¹ سيرة عنترة، م3، ص45

² سيرة الملك سيف، م1، ص173

الخاتمة:

خلص هذا البحث من خلال تحليل البنية الزمنية في السيرة الشعبية العربية، إلى أن الزمن لا يُعد مجرد إطار خارجي للأحداث، بل يمثل عنصراً بنيوياً فاعلاً في تشكيل السرد وتنظيمه. وقد تبين أن الزمن يساهم في ترتيب السير الشعبية وفق تسلسل حكائي دال، حيث تبرز سيرة الوزير سالم بوصفها الأسبق زمنياً، تليها سيرة سيف بن ذي يزن، ثم تأتي سيرة عنترة بن شداد في موقع لاحق، مما يعكس منطقاً داخلياً في بناء المتخيل الشعبي يقوم على التدرج والتعاقب.

كما أظهر التحليل أن الزمن يتداخل مع مختلف البنى السردية الأخرى، وخاصة الأحداث والشخصيات والفضاءات، بحيث لا يمكن فصل هذه العناصر عن بعدها الزمني. فالحكاية الشعبية تتأسس على شبكة من العلاقات الزمنية التي تمنحها تماسكها وديناميتها، وتجعل من الزمن بنية حاكمة في إنتاج المعنى السردية داخل السير المدروسة.

وبذلك يتأكد أن دراسة الزمن في السيرة الشعبية تفتح أفقاً لفهم أعمق للخطاب السردية، باعتباره نظاماً متكاملًا تتفاعل فيه العناصر البنيوية ضمن رؤية زمنية شاملة.

المصادر والمراجع

أولاً: المصادر (السيرة الشعبية)

- 1-سيرة الملك سيف بن ذي يزن فارس اليمن، مستشارو التحرير: د. أحمد أبو زيد، د. نبيلة إبراهيم، د. أحمد مرسي، مكتبة الدراسات الشعبية، سلسلة شهرية، الهيئة العامة لقصور الثقافة، ط2، 1999م.
 - 2-سيرة فارس فرسان الحجاز أبي الفوارس عنترة بن شداد، مكتبة الجمهورية المصرية لصاحبها عبد الفتاح عبد الحميد، شارع الصناديقية بالأزهر، مطبعة عاطف وسيد طه وشركاهما، المجلد (الأول-الثامن).
 - 3-قصة الوزير سالم الكبير، مكتبة الجمهورية المصرية لصاحبها عبد الفتاح عبد الحميد مراد، شارع الصناديقية، بجوار الأزهر، مصر.
- ثانياً: المراجع (الدراسات النقدية)
- 1- انظر، نظرية الأدب، توماشفسكي، ص 271.
 - 2-إشكالية الزمن في النص السردي، عبد العالي بوطيب، مجلة فصول، عدد خاص عن دراسة الرواية.
 - 3-انفتاح النص الروائي، سعيد يقطين، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط2، 2001م.
 - 4-بناء الرواية: دراسة مقارنة في ثلاثية نجيب محفوظ، سيزا قاسم، دار التنوير للطباعة، بيروت، ط1، 1985م.
 - 5-بنية النص الروائي: دراسة، إبراهيم خليل، الدار العربية للعلوم ناشرون، الجزائر، ط1، 2010م.
 - 6-تحليل الخطاب السردي: معالجة تفكيكية سيميائية مركبة لرواية زقاق المدق، عبد الملك مرتاض، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1995م.
 - 7-تقنيات السرد في النظرية والتطبيق، آمنة يوسف، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط2، 2015م.
 - 8-جماليات التشكل الزمني والمكان، إبراهيم نمر موسى، مجلة فصول، ص 101-102.
 - 9-خطاب الحكاية، جيار جينت، ترجمة: محمد معتصم، عبد الجليل الأزدي، عمر حلي، المجلس الأعلى للثقافة، ط2، 1997م.
 - 10-الرواية بين النظرية والتطبيق، راكمز أحمد، دار الحوار للنشر والتوزيع، ط1، 1995م.
 - 11-فن السرد في قصص طه حسين، أحمد السماوي، كلية الآداب والعلوم الإنسانية بصفافس.
 - 12-قال الراوي: البنيات الحكائية في السيرة الشعبية، سعيد يقطين، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء.



مجلة الأندلس للعلوم الإنسانية والاجتماعية

مجلة دولية شهرية علمية محكمة

الترقيم الدولي الإلكتروني: ISSN:2410- 521X

الترقيم الدولي الورقي: ISSN:2410- 1818

البريد الإلكتروني: journal@andalusuniv.net

المجلة مفهرسة في المواقع الآتية :



2025	2024	2023	2022	2021	العام
0.5978	0.3068	0.3759	0.1954	0.2692	معامل أرسيف
1.59	1.55	1.25	1.73	1.60	معامل التأثير العربي